التقرير اليومي

2006/12/16

ست حقائق قاسية عن العراق

تعليق/ 11 كانون الأوّل 2006
بقلم وليام إ. أودوم

- الجنرال William Odom أحد المؤيدين الأوائل لإنسحاب عاجل للجيش الأميركي من العراق، وهو يهاجم بعض الأساطير التي تتعارض مع النقاش الصريح حول كيفية مواصلة العمل في الشرق الأوسط ويقول بأنّ الإعلام فشل بإدراك التحولات الدراماتيكية في المنطقة.

* إنّ الأساطير حول الحرب في العراق تعرض للخطر جمهوريتنا، حقوقنا، ومسؤوليتنا أمام العالم. فكلما طال فشلنا بالتخلص منها، كلما كان الثمن الذي سندفعه أعلى. إنّ الحقائق الست التالية قد لا تكون واضحة بذاتها للشعب الأميركي، فإنّها واضحة وبشكل ملحوظ للكثيرين في باقي العالم.

الحقيقة الأولى: لا "إتفاق" من أي نوع يمكن القيام به بين الأفرقاء اليقظين والحذرين في العراق بحيث يجلب الإستقرار والنظام حتى ولو كلن ذلك مؤقتاً.
- أولاً، كان من المتوقع أن تحقق الإنتخابات البرلمانية إختراقاً هاماً، وعندما لم يتبع ذلك الإستقرار والسلام، كان الإدعاء بأنّ الإستفتاء على الدستور هو الدواء لكل العلل، وعندما فشل ذلك، تمّ التأكيد على أننا لم نجد بعد رئيس الوزراء الصحيح. ولا يزال البحث جارياً حتى اليوم.

الحقيقة الثانية: لم يكن هناك من وسيلة "للقيام بالحرب بشكل صحيح" في العراق حتى يكون بالإمكان إنجاز أهداف الحرب الأميركية.
- نحن لم نخطط للحرب بشكل صحيح ولم نقم بها فوراً. لكن البعض كالبروفيسور إليوت كوهين من جامعة جون هوبكينز كان يعزز الأسطورة بأن بإمكاننا الفوز بالحرب. إن تشرذم البلاد، الحرب الأهلية وتصاعد النفوذ الخارجي الإيراني والسور وغيرهما، كلها أمور كانت لتؤجّل لبعض الوقت بواسطة خطط حربية وسياسات إحتلالية مختلفة. إلاّ أنّ خطة إحتلال مختلفة ربما كانت لتغيّر المسار الذي إتّخذه العراق للحرب الأهلية والتشرذم، لكنّها ما كانت لتمنع تلك النتيجة.

الحقيقة الثالثة: إنّ النظرية التي تقول "نحن حطمنا العراق ولذلك فهو لنا"، مع كل ما يتضمنها من أعراف أخلاقية بالية، هي ببساطة، نظرية غير صحيحة، لأنّه ليس في قدرة الولايات المتّحدة العمل على "تثبيت" الوضع.
- الذين حمسوا الرئيس للهرولة الى الحرب يستخدمون الآن هذه النظرية ليتجنبوا الإعتراف بأنّهم يتقاسمون الذنب بجريمة تفتيت العراق في المقام الأوّل.

الحقيقة الرابعة: إنّ مطالبة الإدارة الأميركية بإشراك إيران وسوريا مباشرة وطلب المساعدة منهما لإستقرار العراق الى حين تبدأ القوات الأميركية بالإنسحاب- وبسرعة- حتى لا يكون هناك لبس حول رحيلها التام والكامل، ما هو إلاّ طلب ساذج بوضوح أو أنّه غير مسؤول بشكل معيب.
- إنّ المفاوضات الفعالة ستكون ممكنة، حتى مع إيران، لكن فقط "بعد" الإنسحابات الأميركية. كما أنّ مفاوضات كهذه يجب أن تكون مبنيّة على إدراك واضح بأنّ إيران ستخرج من هذه الحرب، وموقعها معزز كثيراً في الشرق الأوسط. والى حين يتم الإقرار بهذه الوقائع، فإنّ العاملين على التخطيط لن يبدأوا الإنكباب على أهم المهمات التي تنتظرهم في مواجهة عالم ما بعد خرب العراق. أوّلها كيفية مساعدة دول الخليج على مكافحة إيران الأقوى. ثانياً، التعامل مع التهديد المتزايد لإسرائيل والآتي من الهزيمة الأميركية في العراق ومن حربها الأخيرة المضللة ضد حزب الله، ومن عدم الإستقرار الوشيك في لبنان، والعدد الكبير من كوادر القاعدة ذوي الخبرة من جراء حرب العراق، كما أنّه ومع الإنقسام السني- الشيعي في العالم العربي الذي ينتشر من العراق الى الدول المجاورة، كالكويت، العربية السعودية والبحرين، دون أن نذكر لبنان، فإنّ الولايات المتّحدة ستجد نفسها تواجه حركة لا تملك قوة كافية للحد منها.
لا يمكن للولايات المتّحدة أن تضطلع لوحدها بهذه التحديات، لذا على أوروبا الإنضمام إليها لمواجهتها إذا ما كانوا يريدون إستمرار علو إسرائيل.

الحقيقة الخامسة: الولايات المتّحدة لا تستطيع منع إيران حيازة أسلحة نووية.
- الطريقة الوحيدة لوقف البرنامج الإيراني تكمن في غزو الجيش على الأرض وإحتلال البلاد بشكل نهائي. وقد تعلمت كلاً من إيران وكوريا الشمالية من تفجير إسرائيل للمفاعلات العراقية وزادت من صلابة سماكة مفاعلاتها السرية تحت الأرض، حتى تجعل أضرار القصف هامشية في أحسن الأحوال. ولأنّ الولايات المتّحدة شتتت إمكانات قواتها الأرضية في العراق، فإنّها لا تملك قوات كافية لتغزو إيران. كما أنّ القصف سينتج عنه كل النتائج غير المرغوبة وليس المرغوبة والمطلوبة.

الحقيقة السادسة: ببساطة، من غير الممكن منع تزايد حالات الموت التراجيدية في العراق.
- إنّ الطريقة لتجنّب المسؤولية الأخلاقية عن إنتهاكات حقوق الإنسان في العراق كانت عدم القيام بالغزو بالدرجة الأولى. وحالياً، تقوم القوات العسكرية الأميركية بتسهيل الإعتقالات والإعدامات من قِبَل الضباط الشيعة في الشرطة وبعض وحدات الجيش، وهذا العمل هو، وبشكل رئيسي، رد فعل على التمرد الذي يقوده البعثيون، وهذا النزاع سيستمر مع ومن دون وجود القوات الأميركية. إنّ إنسحاباً مبكراً قبل سنة أو سنتين ربما كان سمح لهذا النزاع بأن يكون قد وصل الى نهايته الآن. إنّ جهودنا الطيبة لمنع حمامات الدم يبدو أنّها، وعلى الأرجح، سببتها وعلى نطاق أكبر وليس أصغر.
يمكن إستخدام توصيات مجموعة دراسات العراق لنبذ هذه الأساطير والحث على إنسحاب سريع، لكن لا يزال يجب رؤية إن كان بإستطاعة أي من الرئيس أو مساعديه أو الكونغرس إستخدام هذه التوصيات لأجل هذا الهدف. "إنّ أحد جوانب التوصيات والتي تدعو الى "المحاولة الأخيرة

الكبرى"، إذا ما تم العمل عليها بشكل غامض، فإنّها لن تؤدي إلاّ الى دفع ثمن كارثي أعلى. أمّا الإعلام، وبواسطة نبذ قائمة الأساطير المذكورة، فبإمكانه جعل إحتمال دفع تلك الكلفة أقل".

** وليام أودوم (William Odom)*

الجنرال وليام أودوم، متقاعد في الجيش الأميركي، مشارك كبير في مؤسسة هادسون وبروفيسور بجامعة يال وبصفته مدير لوكالة الأمن القومي من العام 1985 وحتى 1988، كان مسؤولاً عن المعلومات الإستخباراتية الوطنية وأمن الإتصالات وخدم من العام 1981 وحتى 1985 كمساعد لرئيس الأركان للمخابرات، ضابط مخابرات كبير في الجيش.

وكان الجنرال أودوم، من العام 1977 وحتى 1981 مساعداً عسكرياً لمساعد الرئيس لشؤون الأمن القومي، زبيغنيو بريجينسكي. كما عمل بصفته عضو في فريق مجلس الأمن القومي، بالتخطيط الإستراتيجي، الشؤون السوفياتية، سياسة الأسلحة النووية، سياسة الإتصالات وقضايا أمن الخليج الفارسي. له مقالات صحفية عديدة منشورة بالصحف والمجلات العالمية. كما أنّه يظهر ببرامج تلفزيونية لمحطات أميركية وبريطانية.

بيكر يريد إسرائيل مستثناة من المؤتمر الإقليمي

Insight Magazine
5-11 كانون الأوّل 2006

بدأ البيت الأبيض يدرس عرض لجيمس بيكر لإطلاق جهود السلام في الشرق الأوسط من دون إسرائيل. وقد تبدأ هذه الجهود بمؤتمر تنظمه الولايات المتّحدة، يدعي مدريد 2، ويضم أعداءً للولايات المتّحدة، كسوريا وإيران. وقال مسؤولون بأنّه يمكن لمدريد 2 أن يكون بمثابة منتدى لمناقشة مستقبل العراق، لكنّه في الواقع يركز على المطالب العربية لجهة قيام إسرائيل بالإنسحاب من الأراضي المحتلة في حرب عام 1967. وقالوا بأنّ إسرائيل لن تكون مدعوة الى المؤتمر.

"فكما يرى بيكر الأمر، فإنّ المؤتمر قد يوفر فرصة نادرة للولايات المتّحدة لإغتنام إتفاقية من دون الضغط اليهودي"، قال المسؤول. "لقد أصبح هذا العرض الأكثر إثارة والذي يخضع لفحص العاملين بالسياسة الخارجية على مدى الشهر الماضي".

وقال مسؤولون عن عرض السيد بيكر، والذي تعكسه توصيات مجموعة دراسات العراق، بأنّ العرض المدعوم من وزيرة الخارجية كوندوليزا رايس، والسكرتير المساعد لوزير الخارجية نيكولاس بيرنز ومدير المخابرات الأميركية جون نيغروبونتي. أمّا العنصر الأكثر إثارة للجدل في العرض، فكان توصية السيد بيكر للولايات المتّحدة محاولة التودد لإيران وسوريا.

"هذه سوريا، التي تفرض، وبشكل واضح، ضغوطاً على الديمقراطية اللبنانية، إنّها داعمة للإرهاب. فهي تمد وتدعم حزب الله وتعمل على تسهيل جهود إيران لدعم حزب الله، كما أنّها تدعم أنشطة حماس". قال ستيفن هادلي، مستشار الأمن القومي في بيان موجز له الأسبوع الماضي. "ليست هذه سوريا التي نريدها على الأجندة والتي ستجلب السلام والإستقرار الى المنطقة".

وقال مسؤولون بأنّ عرض بيكر بإقصاء إسرائيل عن مؤتمر سلام الشرق الأوسط نال دعماً في بداية نائب الرئيس ديك تشيني للعربية السعودية في 25 تشرين الثاني.

وأمضى السيد تشيني معظم لقاءاته بالإستماع الى التحذيرات السعودية من أنّ إسرائيل بدلاً من أن تكون إيران، هي السبب الرئيسي لعدم الإستقرار في الشرق الأوسط. "ولم يحظ تشيني حتى بفرصة مناقشة الهدف من زيارته بشكل جدي- وهي مساعدة السعوديين، الحكومة العراقية، وحث السنة على

وقف هجماتهم"، وقال مسؤول آخر على صلة بزيارة السيد تشيني: "وبدلاً من ذلك، ظل السعوديون يقولون بأنّهم كانوا يريدون مبادرة أميركية لوقف الهجمات الإسرائيلية في غزة. وبأنّ تشيني وافق فقط".

وفي ظل عرض بيكر، فإنّ إدارة بوش قد تعمل على ترتيب مؤتمر للشرق الأوسط يناقش مستقبل العراق وقضايا شرق أوسطية أخرى. وقال مسؤولون بأنّ المؤتمر قد يسعى للفوز بدعم عربي حول العراق بعملية تبادل لإلتزام أميركي بتجديد جهودها للضغط على إسرائيل للإنسحاب من الضفة الغربية ومرتفعات الجولان.

"يرى بيكر خطته بأن تشمل شيئاً ما لكل فرد، ما عدا الإسرائيليين ربما"، قال المسؤول "فالسوريون قد يسترجعون الجولان وقد يحصل الإيرانيون على إعتراف الولايات المتّحدة بها وقد يستعيد السعوديون نفوذهم، وتحديداً على الفلسطينيين".

ويقول مسؤولون بأنّ نفوذ السيد بيكر داخل الإدارة وقيادة الحزب الجمهوري مستمد من دعم والد الرئيس كما هو مستمد من وزير الخارجية الأسبق هنري كيسينجر. كما أنّ كل إدارة بوش الحالية، كالمسؤولين الكبار مثل السيد هادلي والسيدة رايس، يقومون بإستشارة برنت سكوكروفت، وهو المستشار الأسبق للرئيس لشؤون الأمن القومي، ويعتبر سكوكروفت وثيق الصلة بالسيد بيكر.

"لقد سقط الجميع"، قال المسؤول. "فبوش ليس في الحلقة اليومية. إنّه مصدوم بالإنتخابات ويأمل بمعجزة حول العراق". كما أنّ بوش من جهته عبر عن عدم تساهل في المفاوضات مع إيران. وفي 30 تشرين الثاني، وفي مؤتمر صحفي في عمان بالأردن، إستشهد الرئيس بتدخل إيران بحكومة رئيس الوزراء العراقي نوري المالكي.

"نحن نحترم تراثهم، تاريخهم وتقاليدهم"، قال السيد بوش. "لدي مشكلة فقط مع حكومة تعزل شعبها، وتمنع عنه المكاسب التي قد يحصل عليها من جراء شراكته مع العالم".

إنّ توصية بيكر للتودد الى إيران وسوريا لاقت أيضاً دعماً من البعض في جناح المحافظين من الحزب الجمهوري. وعلى مدى الأسبوع الماضي، إقتنع زعماء سابقون وحاليون في الكونغرس من الحزب الجمهوري بالحاجة الى إنسحاب أميركي قبل الإنتخابات الرئاسية في العام 2008 ونادوا بالمشاركة الإيرانية والسورية في الجهود لإستقرار العراق.

"قد أنظر في إستراتيجية جديدة بالكامل"، قال Newt Gingrich، الناطق الأسبق بإسم البيت الأبي. "لقد فشلنا بشكل واضح في السنوات الثلاث الأخيرة لإنجاز نوع ما من النتائج التي نريدها".

وبالمقابل، حذر مسؤولون بوزارة الدفاع من منح إيران وسوريا دوراً على حساب إسرائيل. وقالوا أنّ إستراتيجية كهذه قد تعمل على إنهاء وتقويض الحلفاء العرب للولايات المتّحدة كمصر، الأردن والمغرب.

" إنّ الإستراتيجية الإقليمية ما هي إلاّ تعبير لطيف لرمي العراق الحر الى الذئاب المجاورة له: إيران، سوريا والعربية السعودية"، قال اللاعب المحوري في السياسة الأمنية، الوثيق الصلة بالبنتاغون، "إذا ما تم تبني إستراتيجية بيكر الإقليمية، سوف نثبت لكل العالم أنّه من الأفضل أن تكون عدواً لأميركا على أن تكون صديقاً لها. إنّ عدائية بيكر تجاه اليهود تسجل عليه، وقد حببته وقربته من أعداء إسرائيل في المنطقة".

إلاّ أنّ وزير الدفاع المعيّن روبرت غايتس، وهو زميل سابق للسيد بيكر في مجموعة دراسات العراق، كان قد عبّر عن دعمه لمفاوضات أميركية مع إيران وسوريا. وفي رد على أسئلة لجنة القوات المسلّحة في مجلس الشيوخ، والتي تبدأ جلسة الإستماع لتعيينه هذا الأسبوع، قارن السيد غايتس عدوا الولايات المتّحدة بالإتحاد السوفياتي.

"حتى في أسوأ أيام الحرب الباردة، حافظت الولايات المتّحدة على حوارها مع الإتحاد السوفياتي والصين، وإنّي أعتقد أنّ قنوات الإتصال ساعدتنا على إدارة عدد من الأوضاع العصبة العميقة". قال

السيد غايتس. "إنّ شراكتنا مع سوريا لا يجب أن تكون أحادية، فعلى سبيل المثال يمكنها أن تتخذ شكل المشاركة السورية في مؤتمر إقليمي".

بيركوفيتش: التنافس الأميركي- الإيراني في الشرق الأوسط يحمل بذور "المأساة"

بقلم جورج بيركوفيتش
2006/12/13

يقول جورج بيركوفيتش، وهو كبير الخبراء بقضايا إيران والقضايا النووية، بأنّ برنامج إيران النووي قد توسع الآن مع شعور إيران بالجرأة على منافسة الولايات المتّحدة للهيمنة على منطقة الشرق الأوسط بكاملها. ويحذر من أنّ هذا التنافس يحمل في طياته "مأساة"، إذا ما شعرت الولايات المتّحدة بأنّ عليها إستخدام القوة العسكرية ضد إيران.

- سؤال: عندما تحدثنا آخر مرة في شهر آب، كان الإهتمام الكبير منصباً على جهود الولايات المتّحدة وحلفائها في مجلس الأمن الدولي للضغط على إيران لتعليق برنامج التخصيب النووي. ومنذ ذلك الحين، يبدو أنّ هناك تركيزاً أقل على المسائل النووية وأكثر على الشرق الأوسط. هل بإمكانك أن تضعنا في الصورة الحالية؟

- جواب: هناك أمور عديدة تجري وتطغى على القيادة الأميركية، فكوريا الشمالية مثلاً أجرت إختباراً لسلاح نووي، ولديك الآن إغتيال بيار الجميّل في لبنان، وكانت الولايات المتّحد تحاول الضغط على مجلس الأمن لتبنّي العقوبات ضد إيران في حين قاومت روسيا ذلك. وإنّي أعتقد، كما الجميع في باقي العالم، أنّه لن يكون هناك عملية فرض بالقوة، وبأنّ بإمكان إيران الإستمرار ليس فقط بتحدي مجلس الأمن، وإنّما الولايات المتّحدة أيضاً. وفي ذلك السياق، تعمل إيران على تصعيد شعور المنافسة مع الولايات المتّحدة للهيمنة على الشرق الأوسط الكبير. فإيران تصعّد بطريقة متحدية جداً وكأنّها تقول "نحن اللاعبون الأساسيون في المنطقة، نحن الرابحون وأنتم في تراجع سريع".

- سؤال: هل تعتقد أنّ الخطاب الإيراني قد يكون مؤذياً للإيرانيين؟ غنّ الإيرانيين يعاملون الولايات المتّحدة بشكل متعجرف جداً. هل يمكن لذلك أن يشعل النار؟

جواب: نعم، تاريخياً كان للولايات المتّحدة دورات زمنية فاصلة عندما تشعر حقاً بالإساءة وبالتكبر عليها، والآن يبدو أنّ الرئيس أحمدي نجاد يستعرض لغة حربية ومتغطرسة، وهو أمر مستفز في بعض نواحيه وقد يؤدي الى إستثارة عمل عسكري أميركي لن يخدم بالتأكيد مصالح الولايات المتّحدة، لكنّه أيضاً لن يكون في صالح إيران وستكون نتائجه مأساوية.

- سؤال: لقد كتب الكثير في السنة الماضية حول إمكانية إطلاق الولايات المتّحدة هجوماً عسكرياً ضد مرافق إيران النووية، لم أسمع الكثير عن ذلك مؤخراً، ماذا لديك حول هذا الأمر؟

- جواب: أحد الأسباب لذلك هو أنّ التأثيرات السلبية لهذا الهجوم ستكون كبيرة ومتعددة بحيث لا يمكن إعتباره أكثر من إجراء يائس. إنّ الهجوم لن يحل أيّة مشكلة.

- سؤال: هناك نقاش كبير في الولايات المتّحدة بأنّه ربما قد يكون على الولايات المتّحدة إنهاء ترددها لجهة التعامل مباشرة مع إيران وإجراء محادثات معها ومع سوريا حول العراق. وهذا بالطبع

يترك كامل التساؤلات النووية غير واضحة. أنا متأكّد أنّ الإيرانيين قد يفضلون الحديث مع الولايات المتّحد حول العراق بدلاً من الحديث حول تعليق برنامجهم النووي.

- جواب: لقد قالت الإدارة الأميركية في السنوات الستة الماضية بأنّها لن تتحدث مع "ممثلين أو أنظمة سيئة"، وثم، وبعد حوالي 5 سنوات تدرك الإدارة بأنّها لا تصل الى أي مكان بسياستها الخارجية فتقرر تعديلها، لكن لحين حصول ذلك قد يكون الوقت متأخراً جداً لإنجاز ما تريده الإدارة. لذا أعتقد أنّ الإدارة مستعدة وتريد الحديث مباشرة مع إيران، لكن من غير الواضح إن كانت إيران تريد ذلك.

لا أعتقد أنّه علينا التحدث حول المسألة النووية حتى يقوموا بتعليق التخصيب لكن بالإمكان الحديث معهم حول العراق والمحيط الأمني الإقليمي حتى في الوقت الذي يكون هناك ضغط بفرض عقوبات على المسألة النووية.

- سؤال: بالعودة الى برنامج إيران النووي، الروس مترددون في الواقع لجهة فرض أيّة عقوبات جدية، لمَ يعود ذلك برأيك؟

- جواب: أستطيع ذكر ست أسباب لذلك، لكن كيف يقرر الرئيس فلاديمير بوتين ماذا يفعل، نحن لا نعرف ذلك في الواقع. لكن بما يتعلق بالعقوبات الهامة التي يفكر بها البعض لجهة قطع التعاون النووي مع إيران، فإنّ ذلك سيؤذي روسيا جداً، حيث أنّ هناك عقوداً أخرى بين روسيا وإيران.

- سؤال: ما هي العقود الأخرى بينهما غير محطة بوشهر النووية؟

- جواب: يحاول الروس التقدم بإتجاه بناء مفاعل إيراني آخر مع المحافظ على سير مشاريع أخرى. وبالنسبة للعقوبات، فإنّ الأمر الآخر الذي قد يقطع عن إيران هو مبيعات الأسلحة التقليدية، وروسيا هي المزود الأكثر الرئيسي لها وبذلك يُطلب من روسيا أن تتلقى مرة أخرى الضربة الإقتصادية الأكبر. وهناك مسألة محددة أيضاً عندما تشاهد كيف يتعامل الرئيس بوتين مع الولايات المتّحدة عموماً. إنّها معاملة تنافسية جداً.

فأي شيء يقلل من القوة الأميركية أعتقد أنّه سيكون من صالح روسيا. فعندما تبدو أميركا ضعيفة وغير قادرة عل فرض إرادتها في الشرق الأوسط، لا أعتقد أنّ الروس سيشعرون بالسوء حيال ذلك.

- سؤال: على الرغم من ذلك، فقد وقعت الولايات المتّحدة الإتفاقية التجارية مع الروس التي ستدخلهم الى منظمة التجارة العالمية.

- جواب: بالنسبة للروس، هذا "عظيم وهائل"، لكن إذا نظرت الى الشرق الأوسط فستقول أنّ روسيا لم يكن لها موقع في الشرق الأوسط على مدى عشرين عاماً. فالعراق كان مرتكزهم في الشرق الأوسط فقمنا بغزوه وخسرته روسيا، ولذلك فإنّ إيران الآن هي المكان الوحيد الذي بإمكان الروس أن يحصلوا من خلاله على مواطئ قدم في المنطقة ككل. فإيران لديها إحتياطات نفطية هائلة، ومع إقصاء الروس عن مجلس التعاون الخليجي وخروجهم من مصر والأردن، يجد الروس أنّ مصلحتهم بالشراكة القوية مع إيران.

- سؤال: إذاً ما دمت في البيت الأبيض، هناك تساؤلات قاسية حقاً: ماذا نفعل بشأن إيران؟

- الجواب: هذا مؤلم. فحتى وأنت تلعب دورك فإنّ الأمر يزداد صعوبة وواقعية. أنت وسط منافسة كسب العقول والقلوب في الشرق الأوسط، العالم الإسلامي والعالم على نطاق أوسع. أمّا الإيرانيون، فيشعرون أنّهم على السكة والحرب الأهلية تقترب في لبنان ولذا يمكن للمرء أن يتساءل كيف ينظر

الى هذه الأمور. حسناً، إذا كانت الولايات المتّحدة تقف الى جانب إسرائيل في حين تقف إيران الى جانب الفلسطينيين والمسلمين، فمن الذي سيفوز بهذه المنافسة؟

ما الذي قد تقوله سوريا

بقلم دايفيد اغناطيوس
15 كانون الأول 2006

دمشق، سوريا- ما هي المواقف التي قد تتخذها سوريا إذا ما دخلت في حوار مع الولايات المتّحدة حول العراق وقضايا شرق أوسطية أخرى؟ طرحت هذا السؤال على وليد المعلم وزير الخارجية السوري، الذي قدم، وبشكل مدهش، دعماً قوياً لتوصيات تقرير بيكر- هاملتون الذي صدر الأسبوع الماضي.

"لسنا ضد الولايات المتّحدة"، قال المعلم، "بالعكس نحن نريد أن نكون جزءاً من حوار إقليمي يخدم المصالح الأميركية في المنطقة"، ووصف أميركا والمنطقة بأنّها على تقاطع طرق، "فإمّا نتجه نحو الإستقرار أو أنّ المنطقة ستسقط بحروب أهلية دينية وسيستولي المتطرفون عليها".

وصور المعلم سوريا كشريك محتمل في إستقرار المنطقة وتحدث عن سلام بين سوريا وإسرائيل، وقال أنّ سوريا تفضل جدولاً زمنياً للإنسحاب الأميركي من العراق، إلاّ أنّ إنسحاباً أميركياً سريعاً قبل أن يصبح العراقيون مستعدون للإستلام الأمن سيكون "خطوة لا أخلاقية".

ولم تظهر إدارة بوش إهتماماً كبيراً بالحوار مع دمشق وإنتقدت بحدة الحملة السورية ضد رئيس الوزراء اللبناني فؤاد السنيورة.

وقال المعلم بأنّ جهود إدارة بوش فشلت سوريا كان نصيبها الفشل وبأنّه حان الوقت لهذه الإدارة لأن تحاول القيام بمقاربة أخرى على قاعدة المصالح الأميركية- السورية المشتركة حول ثلاثة أهداف شرق أوسطية: السلام، الإستقرار، والإزدهار.

وقال المعلم أنّ "على الحوار البناء أن يبدأ من دون شروط مسبقة"، وأنكر سعي سوريا للحصول على سلطة أكبر في لبنان كثمن لمساعدتها في العراق، لكنّه أشار فعلاً الى أنّه إذا كانت أميركا تريد حواراً "فإنّها بحاجة لأن تعيد التأكيد لنا على نواياها الحسنة بما يتعلق بإستقرارنا".

وقد بدأت سوريا فعلاً تنفيذ بعض توصيات بيكر- هاميلتون بالنسبة للعراق بحسب المعلم، فمع تجديد العلاقات الديبلوماسية العراقية- السورية، يبدأ البلدان جهوداً مشتركة للتحكم بحدودها وكذلك لزيادة التعاون السياسي والإقتصادي بينهما، كما دعا تقرير مجموعة دراسات العراق.

وقال المعلم بأنّه يدعم توصية التقرير لجهة مجموعة دعم العراق التي ستضم إليها سوريا ودولاً مجاورة أخرى ولكن فقط بعد توافق العراقيين أنفسهم على خطط نزع سلاح الميليشيات وإنهاء الإنقسامات الطائفية.

أمّا فيما يتعلق بتوصيات المجموعة حول لبنان، فقال المعلم أنّ سوريا لا تشحن أسلحة الى حزب الله وبأنّها ستستمر بتعاونها مع التحقيق الدولي بجريمة قتل رئيس الحكومة الأسبق رفيق الحريري، وبأنّها مستعدة لإنجاز إتفاقية حول تبادل السجناء مع إسرائيل. كما أنّه كشف أيضاً عن جهود غير معلنة من قِبَل سوريا و قطر للمساومة على تسوية بين حماس الراديكالية والقسم المعتدل من حركة فتح التابع للرئيس محمود عباس.

هل هذه المناورة الإستراتيجية السورية حقيقية؟ هل المعلم جدي بعرضه بالحديث مع أميركا حول رزمة سلام شاملة مع إسرائيل، إستقرار العراق، وتسوية في لبنان؟ هناك طريقة واحدة لإكتشاف ذلك وهي البحث أكثر في الأفكار التي طرحها وزير الخارجية السوري على الطاولة.